

مقدّمة

بقلم الإمام الأكبر

الدكتور عبد الحلیم محمود شیخ الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالكتاب الذي بين أيدينا «العدوى بين الطب وحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام» لمؤلفه محمد علي البار المتخصص في الأمراض الباطنية؛ من أمتع الكتب التي اطلعنا عليها في موضوع العلاقة بين الإسلام والعلم في دائرة خاصة من دوائر العلم وهي الطب الحديث، بل في دائرة أخص وهي الأمراض المعدية.

والكتاب يستند إلى أحدث البحوث العلمية في المجال الذي تعرض له، ويستند أيضاً إلى أوثق مصادر التراث الإسلامي التي تعرضت لما جاء في الحديث النبوي الشريف عن العدوى.

والأمر الذي لا شك فيه أن مؤلف الكتاب أحاط علماً بموضوعه في الجانبين: العلمي والإسلامي، ووصل بنظرته العميقة إلى رؤية واضحة لا تجد فيها أدنى اختلاف بين العلم الصحيح، والنص الصريح.

والرؤية التي عرضها الكاتب تبين في جلاء معجزة الإسلام العلمية، حيث تبين أن الأمر فيه لم يقتصر على مجرد براءته من الوقوع في أخطاء علمية لا ينجو من الوقوع

فيها البشر - وهذا في حد ذاته إعجاز باهر اعترف به بعض المستشرقين^(١) - وإنما يتعدى ذلك إلى إقرار حقائق علمية طبية لم يتوصل إليها الإنسان بعمله إلا في العصر الحديث، ومن هذه الحقائق: «العدوى»، وآثارها وحدودها.

يقول المؤلف عن دور الميكروبات في العدوى إنها: «ليست وحدها المسببة للمرض والعدوى. وهناك أسباب مجهولة تتحكم في الطبيعة العدوانية لهذا الميكروب فتحولها إلى طبيعة مسالمة، أو تتحكم في الطبيعة المسالمة لذلك الميكروب فتحوله إلى معتد أثيم... وهناك أيضاً الأسباب التي تتحكم في المقاومة الموجودة لدى الإنسان فتجعلها قوية عارمة تكتسح كل عدوان، أو تجعلها ضعيفة هزيلة تنهزم في كل ميدان»^(٢).

ثم هو بعد ذلك يضع مسألة الأسباب في وضعها الصحيح مستشهداً بقول ابن

القيم:

«فالمخرفون طرفان مذمومان: إما قادح في التوحيد بالأسباب، وإما منكر للأسباب بالتوحيد، والحق غير ذلك، وهو إثبات التوحيد والأسباب وربط أحدهما بالآخر...».

ومن الأسباب «التوكل على الله والثقة به الذي هو من أعظم الأسباب التي يُدفع بها المكروه والمحذور».

والله سبحانه وتعالى هو «خالق أسباب الداء وأسباب الدواء... وعلى هذا قيام مصالح الدارين».

فإن تعطيل الأسباب وإخراجها عن أن تكون أسباباً، تعطيل للشرع ومصالح الدنيا.

(١) انظر ما كتبه الباحث الفرنسي موريس بوكاي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»، ترجمة دار المعارف.

(٢) ص ٣٥.

والاعتماد عليها واعتقاد أنها أسباب تامة شرك بالله عز وجل، وجهل به، وخروج
عن حقيقة التوحيد...».

والكتاب على هذا النحو من أنفع الكتب على وجازته، ونحن ندعو القارئ إلى
تدبره، وإلى الإفادة به، ونرجو للمؤلف به من الله حسن الثواب في الدنيا والآخرة.

كتبه

الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

القاهرة في غرة رمضان المعظم
١٣٩٨ هـ